الإمام الحسين عليه السلام والبناء الاجتماعي للإنسان المسلم

الأستاذ المساعد الدكتور
عماد هادي عبد علي

الأستاذ المساعد الدكتور
وسيم عبود عطية

جامعة الكوفة ـ كلية التربية للبنات

المقدمة:

تعد الدراسة الإسلامية من أهم المدارس الاجتماعية في بناء المجتمع وأساسه الانسان، فهي مدرسة مشرقة حافلة بجميع عوامل النهوض والانتقاء لجميع شعوب العالم وأمم الأرض، فقد فطن الإسلام بصورة عميقة وشاملة إلى سنة التطور والتقدم لجميع شعوب البشر، فقنن أحكامه الخالدة، وقد الغى فيها الفوارق الطبيعية والعنصرية وجعل التمايز بالتقوى العنصر الأساس للمثل العليا والمصدر الحقيقي لسمو الإنسان وكماله.

شكلت تجربة الإمام الحسين عليه السلام تجربة من أثرى التجارب الإسلامية الموضوعية أو الذاتية والتي جسدت مظاهرها مسألة بناء الإنسان المسلم، فكانت مواقف الإمام عليه السلام في مختلف مراحل حياته تجسيداً حياً للأطروحة السماوية المتمثلة بالشريعة الإسلامية بروافدها: القرآن الكريم والسنة النبوية وإبداع الإنسان في تعامله مع البعض المؤثر في حياة الإنسان المسلم فكان نموذجاً رائعاً ودافعاً حقيقياً للاقتداء به، برغم من تباين الدوافع والغايات.

وما أن نستعرض مراحل حياة الإمام عليه السلام حتى يتبين اسهامه سواء في زمنه أو في الأزمان اللاحقة منهجاً إسلامياً حقيقياً في البناء الاجتماعي للإنسان المسلم والذي استمد ثراءه من عدة أمور مهمة:

١- آراء الإمام الحسين عليه السلام وسلوكه كمثال وقدوة حسنة، استمد عناصره من القرآن الكريم والسنة النبوية، نال إعجابه من مناوئيه قبل مناصريه.

٢- الأحداث والمراحل الهامة التي مرت بالإمام عليه السلام كتجربة عملية ونظرية منذ ولادته حتى استشهاده.

٣- الموروث العلمي والحضاري من أفعال وأقوال في شتى المواقف والميادين مما شكل

منهجاً مستمراً من فكر الإسلام الأصيل وشكل نموذجاً رائعاً له.

٤- تطور حالة المعارضة السياسية وتبلور ظاهرة الخروج عن الإسلام المحمدي الأصيل وتبلور الانقسامات داخل المجتمع الإسلامي يقابله زيادة الوعي والعمق الفكري والذي ألقى بظلاله على الحياة الفكرية والسياسية للإمام عليه السلام والذي نقله سلوكاً وواقعاً ترك أثره على شريحة واسعة من المسلمين، فقد وقف الإمام عليه السلام بحزم ضد الاعمال التي مست مؤسسات المجتمع الإسلامي، كونها اللبنة الأساسية للمجتمع والدولة الإسلامية، أذ حارب الفساد السياسي والاجتماعي، وهو ما نلمسه في اقوال وأفعال الإمام عليه السلام.

٥- حارب الإمام عليه السلام الفساد الأخلاقي والذي شكل الأساس المعياري للطغيان والاستبداد السياسي، وقدم مشروعاً بديلاً لهذا الواقع المزري للمجتمع الإسلامي مجسداً عملية النهوض بالمستوى الأخلاقي للمجتمع مقاوماً ومعارضاً للانحراف السياسي والأخلاقي.

المبحث الأول

العطاء الفكري للإمام الحسين عليه السلام في النهضة الحسينية

تميز الإمام الحسين عليه السلام باهتمام واسع في تحديد كيان الدولة ومؤسساتها لغرض تطبيق شريعتها والتي هي شريعة الإسلام، وإدارة أمورها بالشكل الذي يجعلها محققة لغايات وجودها وينطلق الإمام عليه السلام من أن تيار السلطة الجارف مع جبروت وقوة تلك السلطة يؤثر في الأمة بل قد يكتسح جل ابناءها، وذلك أن الرعية بحاجة ماسة إلى الراعي الصالح الذي يخدم الرعية ويرعى شؤونها مشدداً على أن ذلك من واجب السلطة[1].

وضع الإمام الحسين عليه السلام الحفاظ على الشريعة الإسلامية كمنهج للحياة من ضمن الواجبات التي يجب أن يضطلع بها الحاكم، وفي إطار تجربة الإمام عليه السلام السياسية في عهد أبيه عليه السلام وأخيه الإمام الحسن وقبلهما جده محمد صلى الله عليه وآله فقد عمل على الحفاظ على الدين وصيانة وتنفيذ أوامر ونواهي الكتاب والسنة وتفعليها كمنهج للحياة في المجتمع وكأسلوب للاستجابة الفكرية والعملية لأي تحدٍ فكري أو تشريعي أو عملي لما يواجه الإسلام.

عمل الإمام الحسين عليه السلام على تحقيق مجموعة من الواجبات الاجتماعية فضلاً عن مجموعة واسعة من المهام التي شملت الاهتمام بأمور المسلمين وحسن التعامل معهم ناهيك عن الاهتمام بالأسرة والواجبات التربوية والتعليمية فضلاً عن تحقيق التوازن الاقتصادي والحفاظ على المال العام والذي شكل هاجساً كبيراً في حياة المسلمين فضلاً عن الإحساس العظيم للمسلمين وحريه العمليات الاقتصادية التي شكلت حيزاً هاماً في فكر وسلوك الإمام الحسين والتي عدت منهجاً لحياة الإمام عليه السلام في المدينة[٢]، فقد اعتمد الإمام عدة شروط طالب أن يتمتع بها الحاكم وهي بلا شك لا تتوفر في يزيد بن معاوية وهي:

١ـ معرفة الإسلام وحسن تطبيقه:

عد الإمام الحسين عليه السلام أن أول شروط القيادة في الإسلام هو معرفة الإسلام بالمفهوم الدقيق للكلمة واستيعاب أصوله ومبادئه وأحكامه في المجالات الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية، وكل هذه الأمور لم تكن لتتوفر في قيادة يزيد بن معاوية والذي جاء للسلطة نتيجة عملية وراثه خارج إطار رغبة المسلمين، فقد ركز الإمام على احترامه العميق لعلمية الاختيار التي عدها الإسلام شرطاً أساسياً لعملية اختيار الحاكم[٣].

٢ـ العدل:

أمن الأمام الحسين عليه السلام برؤية والده للحاكم والذي كان يروي عن الرسول محمد صلى الله عليه وآله قوله ((العدل حسن ولكنه في الأمراء أحسن))[٤]، فالعدل في الحاكم سمه ذاتية تنبع من داخله وتمتزج فضلاً عن مجانبة حالة الظلم والتي عبر عنها الإمام علي عليه السلام ((لا جور أعظم من جور حاكم))[٥] لذا بين الإمام الحسين عليه السلام الآثار السلبية للظالم والذي حاول اعطاءها أبعادها الواقعية واثرها في المجتمع الإسلامي.

تمتع الإمام الحسين عليه السلام بوعي سياسي واجتماعي مثل أهم صفاته وتجسد في منهجه للقضايا المعاصرة وحسن تشخيص وسرعة إدراك ودقة نظر في جميع الأمور، وقد حدد الإمام عليه السلام عملية الخروج في دقة وحزم لدرء المخاطر عنه وعن المسلمين ومحاولة لدرء المخاطر عن كيان الدولة وشعبها وعقيدتها، ولعل الجزء الأهم من عملية الوعي السياسي والاجتماعي اختياره أصحابه وأخوته لمرافقته في نهضته[٦].

انطلق الإمام الحسين عليه السلام من فهم عميق للرسالة الإسلامية من جهة ومن رؤية سياسية

ناضجة لأهمية الخروج وعدم مبايعة الحكومة الظالمة والشخص غير المؤهل لقيادة الإسلام والمسلمين كأداة وتقويم لتغيير السلطة الحاكمة، فالسيرة العملية والنهج الفكري والذي صاغه الإمام الحسين عليه السلام من خلال تجربته السياسية والاجتماعية يظهر أن إقراره بالمعارضة كحق من حقوق الإنسان المسلم وأنه ينبغي على المسلمين مقاومة الظلم برفع السلاح بعد أن وصلت حالة المسلمين إلى مراحل التردي والضياع،، فنهضة الإمام الحسين عليه السلام انطلقت من الشريعة الإسلامية وهدفت إلى تصحيح مسار الدين والدولة(٧).

٣ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

استندت عملية خروج الإمام الحسين عليه السلام على مسألة استنادها بصورة رئيسية إلى مبدأ ((الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)) فهذا المبدأ الإسلامي الذي أستوعبه الإمام الحسين عليه السلام وأعاد صياغة مادته ناقلاً إياه من سلوك فردي يتميز به الإنسان المسلم إلى قاعدة تنطلق منها الأمة لتغيير الواقع كلما دعت الحاجة واقتضت الضرورة، حيث كان أحياء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إحدى هواجس الإمام، وقد تناولها الإمام كقضية فكرية لا بد أن توعى لتغني الشخصية الإسلامية باعتبارها قضية تشريعية تدعو الأمة والأفراد إلى العمل(٨).

أفضت فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند الإمام الحسين إلى جعلها إحدى شعب الجهاد حيث قال الإمام علي عليه السلام و ((والجهاد: (وهو من دعائم الإيمان) على أربع شعب على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،...))(٩) وفي قول آخر جعل يقول إن هذه الفريضة تتقدم على سلبيات المجتمع وتأخره بتركه هذا المبدأ.

٤ـ طريق الخلاص:

أوضح الإمام الحسين عليه السلام للأمة الإسلامية طريق خلاصها من السلطات الظالمة الأخرى طريقا إليه، فلم يجعل من رفع الظلم منوطاً بإرادة الحاكم أو المشرع أن شاء ظلم وأن شاء عدل بل جعله حقاً من حقوق الجماعة ليرفع عنهم الظلم والجور، لذا آمن الإمام بحق الإنسان المسلم في مقاومة الظلم والاضطهاد ومقاومة الظالم بالسيف كحق مشروع لكافة المسلمين(١٠).

إن هذا الزخم الفكري الذي آمن به الإمام الحسين عليه السلام في تأييد الخروج على الحاكم

الظالم ولو بالسيف هو الذي دفع الإمام إلى الخروج عن المدينة في الوقت الذي تعرض فيه الإسلام إلى محاولات الطمس والإخماد بطريق القمع والمطاردة أو بطريق التضليل والتحريف لتبرير الاستسلام للظالمين والقبول بحكم سلطانهم(١١).

المبحث الثاني

السيرة العملية للإمام عليه السلام

يعد النظام الاجتماعي ضرورة ملحة من ضروريات الحياة الإنسانية لا تستقيم من دونه ولا تستقر بغيره، فقد طبع الإنسان على إيجاد نظام يوجه سلوكه مهما كان ذلك النظام، فقد وهب الله الإنسان عقلاً جباراً يقود به مسيرته في جميع مراحل حياته، وكان من لطف الله وإخراجهم من ظلمات الجهل إلى واحات المعرفة والنور، فأقاموا لهم المناهج السليمة لتنظيم حياتهم وأناروا لهم الطريق بعد ما كانوا يغطون في متاهات مظلمة من مجاهل الحياة، وقع نتيجة البغي فيما بينهم تهالكاً منهم على الدنيا غير حافلين بما جروه على أممهم من الضلال والجهل(١٢).

جاء الإسلام بالحسين عليه السلام ليشكل استكمالاً لرسالة الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله فقد وضع أفكار الإسلام وتعاليمه موضع التطبيق العملي فكان سلوكه مدرسة مشرقة حافلة بجميع عوامل النهوض والارتقاء لجميع المسلمين بل لجميع شعوب العالم وأمم الأرض، جاء سلوكه غير خاضع للأفكار الضيقة التي فرضتها تعدد البيئات واختلاف الجنسيات واللغات(١٣).

نقل الإمام الحسين في سيرته العملية بصورة عميقة وشاملة سنة التطور والتقدم في العمل السياسي والاجتماعي ففي سلوكه العملي في يوم الطف الغى الفوارق الطبقية والعنصرية وجعل التمايز بالتقوى العنصر الأساس للمثل العليا والمصدر الحقيقي لسمو الإنسان وكماله وقد تجلى ذلك في تعامله مع اصحابه بمختلف القوميات والأجناس والألوان، فقد جعل الإمام عليه السلام رسالة الإسلام غير محصورة في بيئة معينة ولم تأت لشعب دون شعب، إنما هي للناس جميعاً على اختلاف قومياتهم ولغاتهم، ومهما حاول المطففون تغيير الصورة الحقيقية للبناء الاجتماعي الذي أرسى دعائمه الإمام في سلوكه الاجتماعي(١٤).

سعى الإمام الحسين في سلوكه في معركة الطف إلى إيضاح حقيقة هامة وهي إن

الإسلام دين شامل وقد استوعب جميع قضايا الإنسان ومتطلباته والتي منها التشريع السياسي والاقتصادي والعسكري وكل ما يمس حياة الأفراد، و كان قيام الإمام عليه السلام في نهضته والتي استهدفت إصلاح جميع جوانب الحياة وشؤون الإنسان والتي منها القضاء على الفكر والمرض والجهل ومن الطبيعي إن هذه الأسباب كانت احدى عوامل انهيار المجتمع وتخلفه وانحطاطه في جميع مناحي الحياة، فقد عنيت ثورة الإمام الحسين عليه السلام من الجانب الاجتماعي إصلاح السلوك الشخصي وإقامة الأخلاق الرفيعة والعادات الحسنة في ضمير الإنسان وكيانه ليكون مسلماً صالحاً، فقد عالج الإمام عليه السلام في مواقفه العملية السلوك الشاذ الذي بدر من قادة وأفراد جيش معاوية(١٥).

إن من بين ما قننته ثورة الإمام الحسين عليه السلام وما أقامته من أساس توحدت عليه الجماعات الإسلامية من الألفة والمحبة، وهو أقوى وأعمق بكثير من رابطة النسب والدم، وقد برزت هذه الظاهرة في يوم الطف كأروع صورة للحياة البشرية على وجه الأرض، وكان من أمثلتها الخالدة الإيثار الخاص من بعض شهداء يوم الطف وهم صرعى على وجه الأرض فكان إيثارهم معلناً عن قوانين جديدة رائعة في سماء الإسلام النقي الصافي، كما كان إيثار الأسرة النبوية العلوية المقدسة والذي هز المشاعر والعواطف، فقد واصلوا إيمانهم وشكروا الله على ما حل بهم فأسسوا بناءً ممنهجاً لإصلاح الإنسان وارتقائه(١٦).

وقد ركزت ثورة الحسين عليه السلام من بين ما هدفت إلى:

أولاً: إشاعة الإيمان بالله:

إن الظروف التي مر بها المسلمون بعد استشهاد الإمام علي عليه السلام واستلام بني أمية السلطة في دمشق وما عانى منه المسلمون من تغييب للحقائق وتحييد عن الطريق القويم والسليم، جعلت عملية خروج الإمام الحسين عليه السلام تهدف إلى إعادة اشاعة الإيمان بالله ونشر كلمة الحق العليا، تلك الكلمة التي يسترشد بها الضال وتملأ قلوب العارفين إيماناً وهداية.

شكلت كلمة الإيمان بالله الركيزة الأولى من ركائز النهضة الحسينية، فلقد ناجز الإمام عليه السلام قوى الظلم والفساد من أجل أن تسود كلمة الله والحق في الأرض ويحرر العقل المسلم من الجهل والظلم الذي عاناه في تلك المدة القصيرة من استلام الأمويين للسلطة ونكثهم للعهود التي قطعوها لأخيه الإمام الحسن عليه السلام وللمسلمين عامة، فقد حمل الإمام

الحسين عليه السلام لواء الإسلام الحق وعانى صنوفاً من الاضطهاد والإرهاق، إذ اجتمع عليه عتات بني أمية وطواغيتهم وعلى رأسهم عبيد الله بن زياد وعمر بن سعد وغيرهم على أن يلغوا صوت الإسلام الحق ومصدره النقي ليلقوا راية الإسلام، ورغم مقتل الإمام الحسين عليه السلام إلا أن راية القوى المعادية له قد اندحرت وارتفعت راية الإيمان خفاقة عالية بدماء الإمام الحسين عليه السلام وصحبه وعائلته ونهضت راية الإسلام بدماءه وامتدت موجات الإسلام النقي بنوره وبدماءه خفاقة عالية(١٧)، لذلك كانت ثورة الإمام الحسين عطاءاً فكرياً خالداً وعطاءاً نفسياً ارتبط بالله تعالى. وأن أهم ثمرات البناء الاجتماعي للإمام الحسين عليه السلام وثورته المباركة في طريق إشاعة الإيمان بالله كانت كالآتي:

١- أرست ثورة الإمام الحسين عليه السلام ركائز الإيمان بالله تعالى، فالإيمان بالله للمسلم المؤمن تقيه من الأمراض الاجتماعية فلا يساوره قلق ولا جزع من مجريات الأحداث التي يعنى بها مهما كانت جسيمة الأثر عليه، فإذا اعتقد الإنسان وآمن بالله فهو الذي يدبر اموره له فمن الطبيعي أن لا يجزع ولا يحزن على ما مني به وبذلك يتخلص من كل قيود الدنيا التي تؤدي هلاكه وانهياره(١٨).

٢- إن من ثمرات ثورة الإمام الحسين عليه السلام وخروجه على بني أمية هو إرساء دعائم السياج الواقي للمجتمع لمحاربة الظلم والغبن والاعتداء، كما أن حركته كانت الضمان الوحيد لمحاربة العدوان والاعتداء في دولة الإسلام والمسلمين، فالإيمان بحقوق المسلمين الاجتماعية والسياسية والدفاع عنها كانت من خروج بني أمية عن الشرع الإسلامي الحنيف، فلقد آمن الإمام عليه السلام وصحبه بأن المسلم إذا تسلح بإيمانه وإذا نفذ الإيمان أعماق قلبه وداخل نفسه فإنه يصونه ويحميه ويصده عن الاعتداء والعدوان والعكس بالعكس(١٩).

٣- أرست ثورة الإمام الحسين عليه السلام القيم العليا التي شكلت مصدر الإحساس بالحقوق والواجبات لأنها الأساس المتين التي يقوم عليها النظام الاجتماعي في الإسلام، فبالعدالة تزدهر حياة المسلم ويكون بمنحى من الشرور والآثام، ومن دون الإيمان بالعدالة التي تشكل مصدر العنفوان والعطاء لجميع المسلمين ومن دون الإيمان بها تصبح الحياة يسودها القلق والاضطراب وتعمها الكوارث والمحن

فالعدالة الاجتماعية التي قامت من أجلها ثورة الإمام الحسين عليه السلام طريقاً للمحبة والخير وفتحاً لآفاق كريمة لازدهار المسلمين وسلامتهم من المحن والكوارث[٢٠].

ثانياً: وحدة المسلمين وتضامنهم:

رفع الإمام الحسين عليه السلام راية البناء الاجتماعي والتي كان شعارها الإسلام النقي الصافي والتي كانت أبرز دعائمها الوحدة السياسية والاجتماعية بين سائر المسلمين، فلقد آمن الإمام عليه السلام بالوحدة وقد عدها جزءاً لا يتجزأ من حياة المسلمين العقائدية، فقد استطاع الإمام الحسين عليه السلام أن يجذب الشرائح الخيرة المعتدلة المؤمنة بالحق من شرائح المجتمع الإسلامي وأقام فيهم وحدة أخلاقية لا تقوم على العاطفة وإنما قامت على الإيمان المطلق بالحق والعدل وهي أقوى وأعمق من رابطة الدم والنسب وقد أحاط الإمام بسلوكه وسلوك أصحابه بثوابت تصونه من الانحلال والتفكك وتفقد أواصر المودة والمحبة بين المسلمين[٢١] كان بينها:

أ - إقامة صلاة الجماعة: تعد صلاة الجماعة مظهراً رائعاً من مظاهر وحدة المسلمين وتضامنهم وتهذيب سلوكهم، وقد عقدها الإمام الحسين عليه السلام لأصحابه وغيرهم، وقد اجتمع فيهم لأداء هذه الفريضة الروحية الفريدة في عطائها واستمرارها وثمراتها، والتي عدت رابطة أساسية لتراحم وتواد المسلمين وقد عقدها الإمام في أثناء المعركة ولم تلهه وأصحابه المعركة عن أداء هذه الفريضة، وكان أدائها في ذلك الوقت العصيب من أعظم المناظر التي أرهبت القوى المعادية للإسلام الحق، وكان أداءها إشارة إلى ترابط المسلمين وإرشاداً للقلوب وإصلاحاً للضمائر التي غابت عنها صورة الإسلام الحق وطغت عليها المصالح الوقتية والمادية الضيقة[٢٢].

ب - في ظلال القرآن الكريم:

أشاع الإمام الحسين عليه السلام في يوم الطف آفاقاً مشرقة من المعرفة والفروض الإسلامية التي تبعث على التضامن الإسلامي فقد استشهد الإمام الحسين بالقرآن الكريم في أوقات مختلفة وفي مناسبات كثيرة بالقرآن الكريم إيماناً منه بتأثيره على واقع حياتهم وقد ورد عن الإمام في يوم استشهاده بالقرآن والآيات التالية:

١- ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾(٢٣).

٢- ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾(٢٤).

٣- ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾(٢٥).

وقد تضمنت الآيات معاني عديدة اجتماعية كالآتي:

١- إن الاعتصام بالله هو الوسيلة الوحيدة إلى الوحدة التي هي الحصن المنيع لحفظ المسلمين وارتفاع كلمتهم وسلامتهم، وإقامة العدل والحق، فالوحدة في الله هي جوهر العقيدة والارتباط بحبل الله هو وسيلة الوحدة.

٢- ذكر المسلمين بجوهر العقيدة الإسلامية ونبيها العظيم بقولهم ((انسبوني من أنا)) وذلك لتأكيده على دور الرسول صلى الله عليه وآله في تأليف القلوب ورأب الصدع والارتفاع عن حزازات الصدور.

٣- حاول الإمام من خلال استشهاده بالآيات القرآنية نقل سامعيه إلى غاية أسمى من الشخصيات الزائلة والأمجاد الفارغة والفخر بالعصبيات ودعاهم إلى الابتعاد عن شتات العرب في جاهليتهم وعداوتهم.

ثالثاً: التماسك الاجتماعي:

أوجدت ثورة الإمام الحسين روحاً من التماسك بين أبناء الصفوة من المؤمنين وجعلتهم وحدة تأريخية متكاملة، فأصحاب الحسين عليه السلام من طوائف مختلفة فمنهم الأبيض والأسود والأسمر والتي وحدتهم وجمعتهم الثورة وكان من بين ما سنته الثورة ما يلي:

١ـ الغاء التمايز العنصري:

أعلن الإسلام منذ بداية تأريخه الغاء التمييز العنصري واعتبره ضرورية اجتماعية لا تستغني عنها الحياة، ولا تستقيم من دونها، فالتمايز ينم عن مجتمع متخلف فاقد لعناصر الوعي والفكر، وجاءت نهضة الحسين عليه السلام إلى المجتمع الإنساني بعمق وشمول فالحسين لم يميز بين أصحابه ولم يميز بين عنصر وعنصر ولا قوماً على آخرين ولا بين أسرته وأصحابه

وعلى هذا الأساس أمدت نهضة الحسين عليه السلام العالم بجميع مقومات النهضة والارتقاء، فقد أقام الأساس المتميز لمجتمع إسلامي في أحلك الساعات صعوبة وضرب للعالم مثلاً رائعاً في تحطيم الفوارق والامتيازات فقد جمعت نهضة الإمام عليه السلام صحبة على المحبة والإخاء، فقد ضللت نهضة الإمام عليه السلام روح الإسلام وجوهره الذي حطم أسس الجاهلية وأقض معالمها العفنة من خلال الطريقه التي انتهجها في معاملته لأصحابه وخصومه في المعركة(٢٦).

٢ـ المساواة بين أصحابه:

مثلت نهضة الإمام الحسين عليه السلام عنصراً أساسياً من عناصر الرسالة الإسلامية الهادفة إلى تحقيق العدالة الاجتماعية والقضاء على الغبن الاجتماعي ومن مظاهر هذه المساواة:

أ. المساواة بينهم في الأذن في الدخول إلى المعركة فلم يأذن لأحدهما ويحجب الآخر، بل سمح وبنفس الطريقة الرائعة وفي الوقت المقرر وأذن لهم في الدخول للمعركة وحسب رغبتهم وطلبهم، بل وعاملهم بعد استشهادهم بنفس الطريقة والتكريم فكان يذهب إلى المعركة ويترحم عليهم ويعود بهم إلى خيمة الشهداء مهما كانت المصاعب.

ب. التسوية بينهم في الحفاوة والتكريم: فلم يعامل الإمام عليه السلام أحداً من أهل بيته أو من أصحابه بغير المساواة من الحفاوة والتكريم، فلم يرفع أحدهم من المجلس ويخفض الآخر، بل تساووا حتى في الجلوس أمامه، فكانت قمة الآداب العالية والتضحية المستحبة من القائد ومن الجنود.

ج. التسوية في طلاقة الوجه: عامل الإمام عليه السلام جميع أصحابه من المؤمنين الذين شاركوا معه في المعركة بطريقة واحدة ولم يشعر أحدهم باختلافه عن الآخر رغم تباين الأدوار فيما بينهم واختلاف مكانتهم.

د. الاستماع لكل منهم: شارك الإمام أصحابه في وضع الخطط العسكرية والاستماع إلى آرائهم في الجهد العسكري المبذول من قبل الجميع فاستمع ممن عنده رأي ولم يستمع من أحد ويعرض عن الآخر.

وبذلك نقل الإمام صورة رائعة من مجتمع مصغر حظي فيه الجميع بمالهم، ونالوا أفضل ما يناله المؤمن وهو الشهادة في سبيل الله ورسوله(٢٧).

الخاتمة:

إن ثورة الإمام الحسين عليه السلام ثورة إسلامية تغييرية، لأنها انطلقت من أجل ان تغير الإنسان في مفاهيمه وفقاً لتعاليم الإسلام ومفاهميه، وهذا هو الذي دعا الإمام عليه السلام إلى أن يقوم خطيباً في مرحلة من مراحل رحلته إلى كربلاء ليحذرهم وليعظهم ويرشدهم، لأن المسألة أنه كان يريد أن يغير مفاهيمهم ويؤكد على المفاهيم الإسلامية كمفهوم العزة والحرية.

انطلق الإمام عليه السلام بهذه المفاهيم من أجل تصحيح الأوضاع السابقة التي انرحفت في أذهان الناس والتي انحرف الواقع من خلالها، ثم انطلق بعد ذلك لتكون حركته في مقام تأكيد الموقف والإرادة والصلابة في الموقف والمستوى الذي قال فيه الإمام عليه السلام: ((لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر لكم إقرار العبيد)).

فكان الإمام عليه السلام إماماً بكل ما تتسع له كلمة الإمامة في أبعادها الثقافية والاجتماعية والسياسية، فكان يتمثل أسلوب الرسول صلى الله عليه وآله حيث انطلق بالدعوة والرفق والانفتاح والصبر، والكلمة التي تفتح العقل من خلال عقله المفتوح، وتفتح القلب من خلال قلبه المفتوح.

مثلت نداءات الإمام عليه السلام برنامج شامل لتغيير الواقع السياسي القائم يومذاك، ولعل أول بيان لثورته قوله: ((من رأى منكم سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً بعهده، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عبادة بالإثم والعدوان، فلم يثر عليه، بقول، ولا بفعل كان حقاً على الله أن يدخله مدخله...))، ولنلاحظ في فقرة أخرى: ((وأنا أحق من غير)) أي جئت للتغيير كل الواقع، ومنه الحكم في أعلى المستويات الذي أعلن أنه حكم غير شرعي ((اتخذوا عبادة الله خولاً ومال الله دولاً)).

هوامش البحث ومصادره

(١) القرشي: موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام، ص ٢٧٠. فالإمام عليه السلام يذكر : ((إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بقول ولا فعل كان حقاً على الله أن يدخله مدخله)). ينظر: ابن الأثير: الكامل في التأريخ، ٢٨٠/٣.

(٢) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ٤٣٣/١٨. فقد أعلن يزيد وهو على دست الخلافة الكفر والإلحاد بقوله:

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

ينظر: الطبرسي: الاحتجاج، ١٢٢/٢-١٢٣.

(٣) اليعقوبي: تاريخ، ٢٠٨/٢؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٨٩/٨. فقد كان الإمام عليه السلام موقفه واضح من بيعة يزيد: ((لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت يزيد)). ينظر: ابن أكثم الكوفي: الفتوح، ٣٢/٥.

(٤) الريشهري: ميزان الحكمة، ٨٠٤/١.

(٥)الإمام علي عليه السلام : نهج البلاغة، ٨٤/٣.

(٦) الآصفي: وارث الأنبياء، ص٢١٠-٢١١.

(٧) الخاقاني: الإمام الحسين عليه السلام بين النظريات العلمية، ص١٨.،

(٨) معهد تحقيقات باقر العلوم عليه السلام : موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، ص٧١٢.

(٩) الكليني: الكافي، ٥٠/٢

(١٠) القرشي: موسوعة، ص٢٩٣.

(١١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ٢٤٢/١٥؛ الحسيني: لماذا نهض الإمام الحسين عليه السلام، ص٦٠-٦١.

(١٢) النبهاني: النظام الاجتماعي في الإسلام، ص٧-٨

(١٣) نصر الله : الإمام الحسين عليه السلام قبس من نوره، ص١٥-١٦؛ العلايلي: الإمام الحسين عليه السلام، ص٢٧٤-٢٧٥.

(١٤) اليوسف: الإمام الحسين عليه السلام وقيم الإصلاح والحرية والعدالة، ص٢٧-٢٨.

(١٥) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ٣٣/١١؛ شمس الدين : ثورة الحسين، ص٨٢-٨٥.

(١٦) الحسني: سيرة الأئمة الأثنى عشر، ص٧٢.

(١٧) الخوارزمي: مقتل الحسين عليه السلام، ص٢٧٢؛ ابن شهرآشوب: المناقب، ٩٧/٤.

(١٨) الشاهرودي: الثورة الحسينية، ١٠/١.

(١٩) القرشي: حياة الإمام الحسين عليه السلام، ٢٩٩/٢.

(٢٠) شمس الدين : ثورة الحسين عليه السلام، ص٢٠١-٢٠٢.

(٢١)الحوفي: أدب السياسة في العصر الأموي، ص٤٠.

(٢٢) الخوارزمي: مقتل الحسين عليه السلام، ص٣٣٠-٣٣١.

(٢٣) سورة آل عمران : آية ١٧٨.

(٢٤) سورة الأحزاب: آية ٢٣.

(٢٥) سورة يونس: آية ٧١

(٢٦) القرشي: موسوعة، ص٤٥٥.

(٢٧) الفتلاوي: الإمام الحسين عليه السلام، ص٣٩-٤٠؛ الخاقاني: الإمام الحسين عليه السلام، ص٢١-٢٢.